جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
قسم اللغة العربية
دكتوراه اللغة العربية- لغة

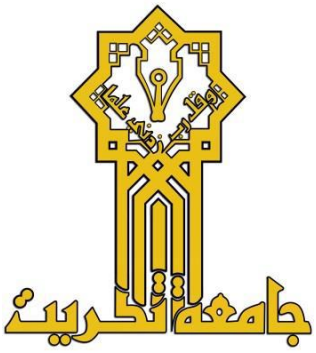

قراءات في كتاب سيبويه

"مفهوم الكلم عند سيبويه"

أ.د. نافع علوان بهلول الجبوري

المحاضرة الثانية

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م

مفهوم الكلم عند سيبويه

يتضح مما ذكره سيبويه ما يلي :

١. أنّه استعمل الكلمة لغايه واضحة واستدل بكلمات دالة لمعاني لغايه أخرى
٢. قسّم سيبويه الكلم على ثلاثة أقسام معتمداً ما تضمنه كلام العرب وعرّف كل جزء منها
٣. استدل لكل قسم بمفردات رتبها بشكل قصدي من الكثرة إلى القلة ومن المدلول الأعم إلى المدلول الخاص .

فالكلمة هي اللفظة الواحدة التي تتركب من بعض الحروف الهجائية ، وتدل على معنى جزئي أي: مفرد فإن لم تدل على معنى عربي وضعت لأدائه فليست كلمة و إنّما هي مجرد صوت .

(الكلامُ أو الجملة) : هو ما تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل مثل : أقبل الضيف. فإن كان مفرداً فكلمة، أو مركباً من اثنين ولم يفيد تسميه مقصودة لذاتها فجملة ، أو أفاد ذلك فكلام أو من ثلاثة فكلم ، فالكلام أخص من الجملة لا مرادف له.

فإن الكلامَ هو القولُ المفيد بالقصد ، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله – قامَ زيدٌ– والمبتدأ وخبره كـ زيدٌ قائمٌ .

والكلم ينطبق على المفيد وعلى غير المفيد ، أما الكلام فلا ينطبق إلا على المفيد خاصة .

وإنَّما أراد سيبويه أن بين (الاسم والفعل والحرف) وهي جمع فأراد أن يعبر عنها بأشكال الالفاظ بها واشبهها بحقيقتها ، ولم يقل (كلمات) لأنها جمع مثل (الكلم) والكلم وأخف منها في اللفظ ، فاكتفى بالأخف عن الأثقل اذ لم يكن في احدهما مزيه على الآخر.

وقد قام سيبويه بتقسيم الكلمة في اللغة وبحسب استقراء تام ومطلق لكلام العرب على ثلاثة أقسام (الاسم والفعل والحرف) ولم يخرج أحد بعده عن هذا التقسيم سوى اختلاف قليل أو بسيط في المصطلح.

وإنّما تم له ذلك ، لأن لغة العرب إما مسميات للأشياء وقد ذكر الله تعالى ذلك وبينها لآدم مع اختلاف في مدلولاتها "وعلم آدم الأسماء كلها" البقرة: ٣١. والتي فسرها غالب العلماء بأن الله عرض على آدم مسميات بالأسماء من الحيوان والجماد وغير ذلك. وافعالهم المتغيرة والثابتة من حركه العمل، قال تعالى : "يا أيها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" الحج:٧٧. وإن كان للمحدثين رأي بذلك ولا سيما د. إبراهيم أنيس ود. تمام حسان إذ قسموا الكلام على سبعه أقسام (الاسم ، الصفة، الفعل، الخوالف، الظرف، الأداة) وللبيان أكثر

مراجعه بحث أ.م.د جليلة الصالح العلاق وم.م انتصار عبد الامير من جامعة الكوفة أقسام الكلام بين الدكتور ابراهيم انيس والدكتور تمام حسان (٢٠١٨) جامعة الكوفة

لقد توسع الأستاذ الدكتور الحاج صالح في بيان تسميات سيبويه للكلم في بحثه (تقسيم الكلمة وتعريفها بين سيبويه والمحدثين) ٢٠١٥ م .

ولم يتأثر أبداً بالنمط اليوناني أو بفكر ارسطو في تقسيم الكلم كما زعم بعضهم إذ أنّ التقسيم الارسطي رباعي وتقسيمه في النحو اليوناني ثماني، بينما بني تقسيم سيبويه للكلم على كلام العرب واستعمالاتهم فدليل التقسيم الثلاثي للكلم هو النص والاجماع والاستقراء واسندوا النص إلى الامام علي أو تلميذه أبو الأسود الدؤلي، ثم إن النحاة استقروا كلامهم من البادية فجاء سماعهم على غالب كلام العرب الذي بنوا عليه هذا التقسيم.

واستدل سيبويه لكل قسم من هذه الأقسام أمثلة من الألفاظ ورتبها بقصدية مطلقة فضلاً عن ذلك فلقد قسم كل جزء إلى أقسام محددة هي نتاج دراية بكلام العرب واستعمالاته المتعددة وبمصطلحات وصفيه مطلقة .

والملاحظ أن سيبويه قد بين ذلك من غير أن يشير أو يحدد اللفظ الدال بل جاء بالأمثلة ففي الأسماء وضح الاسم الجامد والمشتق والدال على الانسان والبهيمة وغيرها .

وفي الأفعال قسمها على نمط ارتباط اللفظ بالزمن من غير الإشارة إلى الماضي أو الحال أو الاستقبال بلفظه الصريح بل جعله بمدلول الواقع وعدمه واشاراته واضحة وقصدية سواء في التنظيم أو الترتيب ويمكن بيانها .

ولما عرف العرب استعمالاتهم للاسم والفعل وربما حتى محدوداته وما يدخل عليه وما يطرأ عليه في الكلام فإنّه جاء إلى قسيمها وأطلقه ولم يحدده بلفظ بل قال : (وحرفٍ جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)، وهو بذلك يطلقه على كل مستعمل في كلامهم لا تنطبق عليه الاسمية أو الفعلية فهو يقصد به جنس الكلمة الذي لا يشابه الاسم ولا الفعل .

وتقسيم سيبويه هذا قائم على خصائص معنوية وتركيبية إذ تتمثل الخصائص المعنوية في المعنى العام المستفاد من كل قسم من هذه الأقسام والمعنى المقصود من الاسم هو المعنى الذاتي من نحو كلمتي بحر وجمل قوم نحو كلمتي جمال ودلال وفي مقابل المعنى الذاتي الموجود في الاسماء نجد معنى الحدث الراسخ في الأفعال وإمّا بشأن الحرف فهو مختلف عن الاسم والفعل أو ما كان معناه متعلقا بغيره .

وأمّا الخصيصة الثابتة أي: الخصيصة التركيبية فتتصل أساساً في الاسناد باعتبار أن الاسم يجيء مسنداً إليه أو مسنداً في حين أن الفعل لا يجيء إلا مسنداً في الوقت الذي لا يجيء فيه الحرف لا مسنداً أو لا مسنداً إليه .

فالاسم = معنى + اسناد

الفعل = معنى + حدث + اسناد

الحرف = معنى في غيره +اسناد

لذاك يقول سيبويه : (فإذا بنيت الاسم عليه قلت: ضربت زيداً، وهو الحد) أي: بنيت الفعل عليه.

وقد سمى الباب الأول أو المقدمة الأولى من كتابه (باب علم ما الكلم من العربية)

والملاحظ في ذلك استعماله هذا باب (علمُ ما الكلمة في العربية) إذ استعمل اسم الإشارة الدال على الحاضر لأنه قد أشار إلى ما فيه لغة من العلم أو لأنه أشار إلى متوقع قد عرف وانتظر وقوعه في أقرب الأوقات إليه فجعله كالكائن الحاضر تقريباً لأمره على نمط قوله تعالى "هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون" أو أن يكون قد وضع كلمة الإشارة غير مشير بها ليشير بها عند الحاجه كقولهم: هذا ما شهد عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب وإنما وضع ليشهدوا وما شهدوا بعد .

والعلم : مصدر وهو تقدير (أن تعلم أو أن يعلم) و(ما) مختلف فيها فإما تكون (ما) الاستفهامية وعليه تكون (ما) مبتدأ و(الكلم) خبرها أو العكس ويكون موضع الجملة التي هي ابتداء وخبرها نصباً. ويكشف هذا المعنى لك أنّك لو جعلت مكانها (أياً) لقلت : هذا باب علم أي شيءٍ الكلم من العربية ...

أو أن (ما) بمعنى الذي ويكون صلتها هو (الكلم) و(هو) محذوفة وحذفها جائز كأنك قلت: هذا بابُ علم الذي هو الكلم من العربية. أو أن تكون (ما) صلة ويكون دخولها كخروجها من تغيير اعراب غيرها.

وقد بين السيرافي سبب تغليب (الكلم) على الكلام أو الكلمات بقوله: (فقد يسأل السائل فيقول: لِمَ لَمْ يقل الكلامُ أو الكلمات؟ الجواب أنّ الكلام يقع على القليل والكثير والواحد والاثنين والجمع، والكلم جمع كلمة كما تقول: خلفه وخلف وإنّما أراد سيبويه أن يبين الاسم والفعل والحرف وهي جمع ، فأراد أن يعبر عنها بأشكال الالفاظ بها وأشبهها بحقيقتها، ولم يقل الكلمات لأنها جمع مثل الكلم، والكلم وأخف منها في اللفظ، فاكتفى بالأخف عن الأثقل إذ لم يكن في أحدهما مزيه على الآخر.

ووجه آخر أن الكلمة اسم ذات الشيء، والكلام اسم الفعل المصرف من الكلم، كما ان الفعل الملبوس اسمه ذات الملبوس، والانتعال والتنعيل والإنعال، وما اشبهه اسم الفعل المصرّف منها، والفعل قيل ما صرّف منها فكذلك الكلم

قبلها يصرّف منها، وأقدمها في الرتبة اسم الذات فذكره دون اسم الحدث، والمصدر الذي هو فرع، ولو ذكر الكلام ما كان مصيبا ولكنّه اختار الأفصح الأجود لمعناه الذي أراده.

فالكلم: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى. وفيه ادراك سيبويه لأقسام الكلام وقد بقيت هذه التقسيمات محل عناية وأخذ وقبول ونجده سيطر على النحو عامة حتى عصرنا الحالي.

وفي عنوان سيبويه اختلاف عما درج عند اللاحقين إذ تجده طويلاً واستخدم عباراته بدقة وعناية وظهر عنده القصدية في أي لفظ استعمله ولا سيما لفظ (الكلم) الذي أشرنا إلى مدلوله كون (الكلام) مصدر والمصدر يدل على القليل والكثير والمفرد والجمع في حين (الكلم) جمع كلمة ولما كان حديثه عن الاسم والفعل والحرف جاء استخدام الكلم أقرب إلى الدقة.

وفي تقسيماته تجد اتفاقاً مطلقاً من الذين جاؤوا من بعده فالمبرد يؤكد ان الكلام كله عربياً أو أعجمياً لا يخرج من هذه التقسيمات إذ يقول: (والكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى لا يخلو منه الكلام عربياً كان وأعجمياً من هذه الثلاثة) المقتضب ٢/١ . ويقول ابن الخباز : (ولا يختص انحصار الكلمة في الأنواع الثلاثة بلغة العرب ، لأنَّ الدليل الذي دلَّ على الانحصار في الثلاثة عقلي ، والأمور العقلية لا تختلف باختلاف اللغات) شذور الذهب ص ١٤ ، .

وقد قسم الأفعال على نمط ثلاثي أيضاً وما زال هذا التقسيم موضع اهتمام الدارسين واللاحقين له. وليس هناك علاقة بين أرسطو وسيبويه هاهنا وليس هناك موضع تأثر بينهما بدليل أن أرسطو يجعل الفعل فقط ما دلَّ على الحال ، أما الفعل الماضي والمستقبل فليس فعلاً، ولكنّه زمن للفعل . وقد أشار سيبويه في كل ما قدمه من أمثلة إلى الأبنية المتعددة للأسماء والأفعال والحروف فلم يقتصر حديثه حول بناء معين فجاء في الفعل أبواب الفعل المتعددة والفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول وقدّم للأسماء ، وما دل على الجمود والاشتقاق والتأنيث والتذكير وغيره ، وشمل حروف الجر وغيرها .